المجنون

ـ ٤ ـ

وضاق « نابغةُ القرن العشرين » بحُمق المجنون الآخر ؛ ورآه داهيةَ دَوَاهٍ ، كلَّما تَعاقَلَ ، أن تَحَاذَقَ لم يأتِ له ذلك إلا بأن يكشفَ عن جنونه هو : فلا يَبرَحُ يُجرِّعهُ الغيظَ مرةً بعد مرَّةٍ ، ولا يزال كأنَّه يَسُبُّه في عقله ؛ فأراد أن يحتالَ لصرفه عن المجلس ، فدفع إليه الرِّسالةَ الَّتي جاء بها (البريد المستعجل) وقال له : خذ هذه ، فاذهبْ فألقِها في دار البريد ، فسيجيء بها السَّاعي مرَّةً أخرى ، ثمَّ تذهبُ الثَّانيةَ ، فتلقيها ، ويعود فيجيء بها ، وتكونُ أنت تذهب ، ويكونُ هو يجيء ، فنضحكُ منه ، ويضحكون .

قال س . ع : ولكن كم يذهب هذا ، وكم يجيء ذاك ؟

فغمزه (النَّابغة) بعينه أنِ اسكتْ ! فتَغافَلَ س . ع ، وقال : كم تريد أن يجيءَ السَّاعي ؛ ليهتفَ بنابغة القرن العشرين ؟

قال المجنون الآخر : هذا هو الرأي ، فلستُ قائماً حتَّى أعرفَ كم مرَّةً أذهب ؛ فإنَّ السَّاعي لا يجيء إلا راكباً ، وأنا لا أذهبُ إلا راجلاً ، وإن لي رجلَيْ إنسانٍ ، لا رجلَيْ دابَّةٍ .

قال (النَّابغة) : سبحان الله ! بقليلٍ من الجنون يَخرُجُ من الإنسان مجنونٌ كاملٌ مُستَلَبُ العقل ، بَيْدَ : أنَّه لا يأتي النَّابغةُ إلا من كثيرٍ ، وكثيرٍ ، ومن النُّبوغ كلِّه بجميع وسائِله ، وأسبابِه على تعدُّدها ، وتفرُّقِها ، وصعوبةِ اجتماعها لإنسانٍ واحدٍ (كنابغة القرن العشرين) ، فهو الذي توافَتْ إليه كلُّ هذه الأسباب ، وتوازَنَتْ فيه كلُّ تلك الخلال . إنَّه ليس الشَّأنُ في العلم ولا في التَّعليم ؛ ولكنَّما الشأنُ في الموهبة التي تُبدعُ الابتكارَ ، كموهبة (نابغة القرن العشرين) ؛ فيها تجيء أعمالُه منسجِمَةً دالَّةً بنفسها على نفسها ؛ ومتميِّزةً مع كونها منسجمةً دالَّةً بنفسها على نفسها ؛ ومتلائمةً مع كونها متميِّزةً دالَّةً بنفسها على نفسها .

هذا س . ع ، كان الأوَّلَ بين خرِّيجي مدرسة دار العلوم ، مدرسةِ الأدب ،

والعربيَّة ، والمنطق ، والتَّحذلُق ، وبلاغةِ اللِّسان ، وصحَّة النَّظر ؛ وهو يعرف أنَّ الكتابَ يُلقى في البريد ، وعليه طابَعٌ واحدٌ ، فيصل إلى غايته بهذا الطَّابع ، ثُمَّ يَرى بعينيْ رأسه أربعةَ طوابعَ على هذه الرسالة المُعَنْوَنَةِ باسم (نابغة القرن العشرين) ، فلا يُدرك بعقله : أنَّ معنى ذلك أن من حقِّ هذه الرسالة أن تصلَ إليَّ أنا أربعَ مراتٍ .

فطرب المجنونُ الآخرُ ، واهتزَّ في مجلسه ، وصفَّق بيديه ، وقال : « ممَّا حفظناه » هذا الحديث : « يُحاسبُ الله الناسَ على قدر عقولهم »(١) . فلا تؤاخذْ (س . ع) ، فإنَّ مدرسة دار العلوم تعلِّمهم : « فيها قولان » ، وفيها ثلاثة أقوال ، وفيها أربعةُ أوجه ، ولكنَّها لا تعلِّمهم فيها أربعة طوابع .

ثمَّ التفتَ إلى س . ع ، وقال له : لا عليك ، فأنا صاحبُه ، وخَلِيطُه ، وحامِلُ عِلمه ، وراوِيةُ أدبه ، وأكبرُ دُعاتِه ، وثِقَاتِه ، وما علمتُ هذه الحكمةَ منه إلا في هذه الساعة .

قال ا . ش : فإذا كان هذا ؛ فإنَّ لقائلٍ أن يقول : لماذا لم يضع على كتابه عشرةً من الطوابع ، فيجيء به السَّاعي عشر مرات .

قال (النابغة) : وهذا أيضاً . . . . ؟

« ومـا شـرُّ الثَّـلاثـة أمَّ عمـرٍو بصـاحِبـك الَّـذي لا تَصْحَبِيْـنَ »

إن الشَّمعةَ في يد العاقل تكونُ للضَّوء فقط ، ولكنَّها في يد المجنون للضَّوءِ ، ولإحراقِ أصابعه . . . كم السَّاعةُ الآن ؟

قلنا : هي التاسعة .

قال : ومتى ينصرفُ أهلُ هذا النَّديِّ ؟

قلنا : لتمامِ الثَّانيةَ عشرة .

قال : فإذا كان السَّاعي يتردَّد في كلِّ ساعةٍ مرَّة ، فهي أربعُ مرَّات إلى أن ينفضَّ المجتمعون هنا ، وبين ذلك ما يكونُ قد ذهب قومٌ عرفوا (نابغة القرن العشرين) ، وجاء قومٌ غيرهم فيعرفونه . وأمَّا بعدَ ذلك ، فلا يجد السَّاعي هنا أحداً ، فلا تكون

---

(١) قال ابنُ قيم الجوزية : أحاديث العقل كلها كذب . وقال أبو الفتح الأزدي : لا يصح في العقل حديث . انظر : المنار المنيف (٦٦ ـ ٦٧) .

فائدةٌ من مجيئه .

فصفَّق المجنونُ الآخر ، وقال : هذا وأبيك ! هو التَّهدِّي إلى وجهِ الرَّأي ، وسَدادِه ، وهذا هو الكلامُ الرَّصينُ الَّذي يقوم على أُصولِ الحساب والجغرافيا . . . « وممَّا حفظناه » هذا الحديث : « لا مالَ أعْوَدُ من العقل »[1] . فأربعةُ طوابع ، لأربعِ مرَّات ، في أربعِ ساعات ؛ وما عدا هذا فإسرافٌ ، وتبذيرٌ ؛ ولا مالَ أعودُ من العقل .

* * *

ورضي (النَّابغةُ) عن صاحبه ، وقال له : لئن كانت فيك ضَعْفةٌ ؛ إنَّ فيك لَبقيَّةً تعقِلُ بها . . . ثُمَّ أخذ منه الرسالة ، ودسَّها في ثوبه . قلنا : ولكن ألا تَفُضُّها ؛ لنعرفَ ما فيها ؟

فضحك ، وقال : أئِنْ جارَيتكم في باب المُطايبَة والنَّادرة ، وجاريتُ هذا الأبلهَ في باب جُنونِه ، وحُمقِه ، تحسبون أنَّ الأمرَ على ذلك ، وأنَّ الرسالة فارغةٌ إلا من عنوانها ، وأنَّ نابغة القرن العشرين هو أرسلها إلى نابغة القرن العشرين ، كما قال سعد باشا : (جورج الخامس يفاوضُ جورج الخامس) . . . ؟ لَحَقٌّ واللهِ ! أنَّ العقلَ الكبيرَ الذي يأبى الصغائرَ ، وهو الذي تأتي منه الصَّغائرُ أحياناً ؛ لُتثبِتَ : أنه عقلٌ كبيرٌ ، وهكذا تَسخَرُ الحقيقةُ من كبار العقول (كنابغة القرن العشرين) .

فغضب المجنونُ الآخر ، وهمَّ أن يتكلَّم : فقال له (النَّابغة) : أنت كاذِبٌ فيما ستقوله .

قلنا : ولكنَّه لم يقل شيئاً بعدُ ، فكما يجوز أن يكونَ كاذباً يجوز أن يكونَ صادقاً .

قال : وسيُخطئ في رأيه الذي يُبديه .

قلنا : ولم يُبدِ شيئاً من رأيه .

قال : ولا يعرف الحقيقةَ الَّتي سيتكلَّم عنها .

قلنا : ويحك ! أدخَلتَ في عقلِ الرَّجل ، أم تَعْلَمُ الغيب ؟

---

(١) انظر التعليق السابق .

قال : لا هذا ، ولا ذاك ، ولكنَّه قياسٌ منطقيٌّ يُتَوَهَّمُ اطِّرادُه . إنَّه سيقول : إنِّي مجنون .

فأخرج الآخر لسانه . . . قال (النَّابغة) : تبّاً لك ! لقد رأيتُ الكلمةَ لفي لسانك أنَّها مكتوبةٌ بحروف المطبعة . ويحكَ يا مَرْقَعان[١] ! ألا تعرفُ : أنَّ لك دماغاً مخروقاً تسقط منه أفكارُك قبل أن تتكلَّمَ بها ، ولولا أنَّه مخروقٌ لحفظت المتن ! إنَّ كلَّ تخطئةٍ لي منك هي اعترافٌ لي منك بصواب .

فنظر الآخرُ إليه نظرةً كان تفسيرُها في حواجبه ؛ إذ مَطَّ حواجبَه[٢] ورقَّصها . فقال (النَّابغة) : ونظراتُه خبيثةٌ مِلْحَةُ الطَّعم ، مَزْعُوقَةٌ[٣] كماءِ البحر المرِّ أُخِذَ من البحر ، وأُضيف إلى مِلْحه الطَّبيعيِّ مِلحٌ ، أكاد أتهوَّعُ من هذه النَّظرة ، فأقيء .

الآن فهمتُ معنى قولهم : « ملحةٌ في عين الحسود » . فإنَّ المِلْحَ لا يغلبه إلا المِلْح ، كالحديدِ بالحديد يُفْلَحُ[٤] . هاتوا كأساً من مُعتَّقةِ الخمر ، ثم لينظرْ فيها الخبيثُ هذه النظرةَ ، فإنَّ الخمر لا بد مستحيلةٌ « شربة ملح إنجليزيٍّ » . . . هذا الأبلهُ ثقيلُ الدَّم ، كأنَّ دمَه مأخوذ من مستنقَع . . . أهذا الذي لا يستطيع أن يقول لشيءٍ في الدُّنيا : هو لي ، إلا الفقرَ ، والجنونَ ، والخرافة ؛ يكذِّب ما في الرسالة الَّتي جاء بها البريد المستعجل ، ولا يُصدِّق : أنَّها مرسَلة إلى نابغة القرن العشرين من صاحب السُّموِّ الأمير ؟

هذا الذَّاهبُ العقلِ هو كالجبانِ المنقطع في وَحْشةِ القَفْرِ ، في ظلام اللَّيل : إذا تَوجَّسَ حركةً ضعيفةً ؛ انقلبتْ في وهمه قصَّةَ جريمةٍ مِلؤها الرُّعبُ ، وفيها القتلُ ، والذبح ؛ ولهذا يخشى ما في الرسالة ؛ التي جاءت من صديقي صاحب السُّموِّ . هاؤُمُ اقرؤوا الرِّسالة .

وفضضنا الغلاف ، فإذا ورقتان ممهورتان بتوقيع أميرٍ معروفٍ ، إحداهما صَكٌّ بألف جنيهٍ تُدفَع (لنابغة القرن العشرين) ، والثَّانية أمرٌ بالقبض على المجنون

---

(١) المرقعان ، والمرقع : الأحمق الذي يتمزَّق عليه رأيه ، فلا يجتمع له . (ع) .
(٢) هما حاجبان . ولكن هذا الأسلوب هو الأفصح هنا ، وهو كثير في العربية . (ع) .
(٣) « مزعوقة » : يقال : طعام مزعوق ، أي : كَثُرَ مِلْحُه .
(٤) « يفلح » : أي : يشقّ ، ويقطع .

الآخر . . . وإرسالِه إلى المارستان .

* * *

وذهبتُ أُصْلِحُ بينهما صلحاً ، فقلت : إنَّ في الحديث الشَّريف : « بينما رسول الله ﷺ في أصحابه ؛ إذ مرَّ به رجلٌ ، فقال بعضُ القوم : هذا مجنون . قال رسول الله ﷺ : « هذا مُصابٌ ؛ إنَّما المجنونُ المقيمُ على معصيةِ الله » .

فقال صاحبُ المتن : « ممَّا حفظناه » : إنَّما المجنونُ المقيم على معصية الله .

قلت : وليس فيكما مقيمٌ على معصية الله .

قال المجنون : « ممَّا حفظناه » : وليس فيكما مقيمٌ على معصية الله .

قلت : هذا ليس من الحديث ولكنَّه من كلامي .

قال (النَّابغة) : أنبأتكم : أنَّ هذا الأبلهَ يَضِلُّ في داره ، كما يضلُّ الأعرابيُّ في الصَّحراء ؛ وأن الأسطولَ الإنجليزيَّ لو استقرَّ في ساقيةٍ يدورُ فيها ثَورٌ ؛ لكان ذلك أقربَ إلى التَّصديق من استقرار العقلِ في رأس هذا الأبله ؟ .

فاحْتَدَمَ الآخر ، وهمَّ أن يقول : « ممَّا حفظناه » ، ولكنِّي أسكتُّه ، وقلت (لِلنَّابغة) : إنَّك دائماً في ذروة العالَم ، فلا غروَ أن ترى المحيطَ الأعظمَ ساقيةً .

« والنوابغ » هم في أنفسِهم نوابغ ، ولكنَّهم في رأي الناس مَرْضَى بمرضِ الصُّعودِ الخياليِّ إلى ذِروةِ العالم . ومن هذا يكونُ المجانينُ هم المرضى بمرض النزولِ الحقيقيّ إلى حَضيضِ الآدمية ؛ فهناك يعملون فتكونُ أفكارُهم من أعمالهم ، ثمَّ تكون عقولُهم من أفكارهم ، فيكونُ هذا هو الجنونَ في عقولهم ؛ وذلك معنى الحديث : « إنَّما المجنونُ المقيم على معصية الله » .

قال (النَّابغة) : لَعَمْري : إنَّ هذا هو الحقُّ ؛ فنبوغُ العقل مَرَضٌ من أمراضِ السُّموِّ فيه ؛ فالشَّاعرُ العظيم مجنونٌ بالكون الذي يتخيَّله في فكره ، والعاشقُ مجنون بكونٍ آخر له عينان مكحولتان ؛ والفيلسوفُ مجنونٌ بالكون الذي يَدأبُ في معرفته ؛ ونابغةُ القرن العشرين مجنونٌ . . . لا . لا . قد نسينا ا . ش ، فهو مجنونٌ ، وس . ع فهو مجنونٌ .

وكلُّ النَّاسِ مجْنونٌ بليلَى وليلى لا تُقِرُّ لَهُمْ بذاكَ

ومن حقِّ ليلى ألا تقرَّ لهم ؛ إذ هي لا تقرُّ إلا لنابغةِ القرن العشرين وحده ؛ وما أعجبَ سِحرَ المرأة في الكون النَّفسانيِّ للرِّجال ؛ أمَّا في الكون الحقيقي ؛ فهي أنثى كإناثِ البهائم ليس غير . وأعقلُ الرِّجالِ من كان كالحمار ، أو الثَّورِ ، أو غيرهما من ذكور البهائم . فالحمار لا يعرف الحمارةَ إلا أنَّها حمارة ، والثَّور لا يعرف البقرة إلا أنَّها بقرة ؛ ولا ينظمون شعراً ، ولا يكتبون « أوراق الورد » . . . وإناثُ البهائم أُمَّاتٌ[1] لا غير ، ولكنَّ العجيبَ : أنَّ ذكورتَها ليست آباءً ؛ فهذه الذُّكورةُ طُفَيليَّةٌ في الدُّنيا ، والطُّفيليُّ لا يأكلُ إلا بحيلةٍ يحتالُ بها ، فيكونُ صاحبَ نوادرَ ، وأضاحِيكَ ، وأكاذيب . ولهذا كان عشقُ الرِّجالِ للنِّساء ضُروباً من الخداع ، والأكاذيب ، والأضاحيكِ ، والحِيَلِ ، والغفلةِ ، والبَلاهة ؛ وإذا نظرنا إليه من أوَّله ؛ فهو عشقٌ ، أمَّا آخرُه ؛ فهو آخر الحيلة ، والأُكذوبة ، وهو قولُ الطُّفَيليِّ : قد شبِعتُ ، وقد رَوِيت . . . ويحكم ! أين أوَّلُ الكلام ؟

قلنا : أوله ما أعجبَ سِحرَ المرأة في الكون النَّفسانيِّ للرِّجال .

قال : نعم هذا هو . إنَّه سحرٌ لا أعجبَ منه في هذا الكونِ النَّفساني إلا سحرُ الذهب ! فلو مُسِخَت المرأةُ الجميلةُ شيئاً من الأشياء ؛ لكانت سَبيكةً ذهبيةً تلمع ؛ ولهذا يُوجِدُ الذَّهبُ اللُّصوصَ في الدُّنيا ، وتُوجِد المرأةُ الجميلةُ لصوصاً آخرين ، فيجب أن يُصَان الذَّهب ، وأن تُصانَ المرأة .

قلت : ولكن أليس من المالِ فضةٌ ، وهي تُوجِدُ اللُّصوص كالذَّهب ؟

قال : نعم ، وفي النِّساء كذلك فضَّةٌ ، وفيهنَّ النُّحاس ؛ ولو أنتَ ألقيتَ ريالاً في الطريق ؛ لأحدثتَ معركةً يختصمُ فيها رجلان ، ثُمَّ لا يذهبُ بالرِّيال إلا الأقوى ، ولو تركتَ قرشاً ؛ لتضارب عليه طفلان ، ثمَّ لا يفوز به إلا من عَضَّ الآخر .

ولكن (فُورد) الغنيَّ الأمريكيَّ العظيمَ ؛ الذي يجمع يدَه على أربعمئة مليون جنيه ، لا يتكلَّم عن القرش ؛ (ونابغة القرن العشرين) الذي يملك (ليلَى) ، لا يتكلَّم عن غيرها من قروش النِّساء .

قلت : فإنِّي أحسِبك أعلمتَني : أنَّ اسمَها فاطمة ، لا ليلى .

---

(١) يقال في غير العاقل : أُمَّات ، وفي العاقل : أُمَّهات .

قال : هل يستقيم الشِّعر إذا قلت : وكلُّ النَّاس مجنونٌ بفاطمةَ ، وفاطمُ لا تقرُّ لهم ؟

قلت : لا !

قال : إذاً فهي (ليلى) ليستقيم الشعر . . . أمَّا حين أقول :

أفاطمُ مهلاً بعد هذا التدلُّل(١) .

فهي فاطمة ؛ ليصحَّ الوزن .

قلت : يُشْبِه والله ألا يكونَ اسمُها ليلى ، ولا فاطمة ؛ وإنَّما هي تسمَّى حَسَبَ الوزن ، والبحر ، فاسمها : فَعُولُنْ ، أو مُفَاعَلَتُنْ .

* * *

ثُمَّ قلنا له : فما رأيك في الحبِّ ، فإنَّه ليُقال : إنَّك أعشقُ النَّاس ، وأغزلُ النَّاس؟

قال : إنَّ ذلك لَيقال (وهو الأصحُّ) ، ثمَّ أطرق يفكِّر . وبدا عليه : أنَّه مَدهوش ذاهبُ العقل ، كأنَّه من قلبه على مسافةٍ أبعدَ من المسافة التي بينه وبين عقلِهِ . وخُيِّل إليَّ أنَّ النِّساءَ قد حُشِرْن جميعاً في رأسه ، ومرَّت كلُّ واحدةٍ تَعرض مفاتِنَها ، وغَزَلَها ، وتلائم هَذَيانَه بهذيانٍ من جمالها ، فهو يرى ، ويسمعُ ، ويَعْرِض ، ويتَخيَّرْ . ثمَّ اضطرب كالذي يحاولُ أن يُمسك بشيءٍ أفلتَ منه ؛ فلم ينبِّهه إلا قولُ المجنون الآخر : « ممَّا حفظناه » : أنَّ أعرابية سئلت عن العشق ، فقالت : إنَّه داءٌ ، وجنون .

قال : اسكتْ يا ويلك ! لقد أطفأتَ الأنوارَ بكلمتك المجنونة . كان في رأسي مرقصٌ عظيم ، تَسطع الأنوارُ فيه بين الأحمرِ ، والأخضرِ ، والأبيض ؛ وترقُصُ فيه الجميلات من الطَّويلة ، والقصيرةِ ، والممشوقةِ ، والبادنة ، فجئتَ بالدَّاءِ ، والجنونِ ، قَبحَك الله ! فأخرجتَني عنهنَّ إليك . أحسِبُ : أنَّك لو انتحرتَ ؛ لصَلُحَ العالَمُ ، أو صلُحْتُ أنا على الأقلِّ . . . فإذا أردتَ أن تشنُقَ نفسَك فأنا آتيك بالحبل ؛ الَّذي كنتُ مقيَّداً فيه ؛ أي : الحبل الذي عندي في الدَّار . . . على أنَّ رأسك الفارغَ مشنوقٌ فيك ، وأنت لا تدري .

---

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه :

. . . . وإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأجملي

قال الآخر : وما أنت مُنذُ اليومِ إلا في شنقي ، وتعذيبي ، أو في شنقِ عقلي (على الأصحّ) . « وممَّا حفظناه » قولُ الأحنف بن قَيس : إنِّي لأُجالسُ الأحمق ساعةً ، فأتَبَيَّنُ ذلك في « عقلي » .

فلم يَرُعْنا إلا قيامُ المجنون مسلَّحاً بحذائه في يده . . . وهو حِذاءٌ عتيقٌ غليظٌ يقتلُ بضربةٍ واحدة ؛ فحُلنا بينهما ، وأثبتْناه في مكانه . وقلنا : هذا رجلٌ قد غُلِبَ على عقله فلا يدري ما يقول ؛ فإذا هو دلَّ على أنَّه مجنون ، أفلا تَدُلُّ أنت على أنَّك عاقلٌ ؟ ما سألناك في انتحاره ، وجنونِه ، بل سألناك رأيَكَ في الحب ، وما نشُك أنَّك قد أطلتَ التَّفكيرَ ؛ ليكونَ الجوابُ دقيقاً ، فإنَّك (نابغة القرن العشرين) ، فانظر أن يكونَ الجوابُ كذلك .

قال : نعم ، إنَّ العاقلَ إذا ورد عليه السُّؤالُ ؛ أطال الفكرَ في الجواب . فاكتب يا فلان (س . ع) :

(جلس نابغةُ القرن العشرين مجلسَ الإملاء مُرتجِلاً ؛ فقال[1] : قصَّةُ الحبِّ هي قصة آدم ، خلق الله المرأةَ من ضلعه . فأوَّلُ علاماتِ الحبِّ أن يشعرَ الرَّجل بالألم ، كأنَّ المرأةَ الَّتي أحبَّها كسَرَتْ له ضلعاً . . . وكلُّ قديمٍ في الحبِّ هو قديمٌ بمعنى غيرِ معقول ، وكلُّ جديد فيه هو جديدٌ بمعنىً غيرِ مفهوم ؛ فغيرُ المعقولِ وغير المفهوم هو الحبُّ) .

والجمرةُ الحمراءُ إذا قيل : إنَّها انطفأتْ ، وبقيتْ جمرةً ، فذلك أقربُ إلى الصِّدق من بقاءِ الحبِّ حيّاً بمعناه الأوَّل ؛ إذا انطفأ ، أو بَرَدَ .

والعاشقُ مجنونٌ . وجنونهُ مجنونٌ أيضاً ، فهو كالَّذي يرى الجمرةَ منطفئةً ، ويرى مع ذلك : أنَّها لا تزالُ حمراء ، ثمَّ يُمْعِنُ في خياله ، فيراها وردةً من الورد . . . وإذا سألتَه أن يصفَ الجمالَ ؛ الذي يهواه ؛ كان في ذلك أيضاً مجنونَ الجنونِ ، كالَّذي يرى قمرَ السَّماء ؛ أنَّه قد تَفَتَّتَ ، وتَناثَر ، ووقَع في الرَّوضةِ ، فكان نِثارُه هو الياسمينَ الأبيضَ الجميلَ الذَّكيَّ .

والمجنونُ يرى الدُّنيا بجنونه ، والعاقلُ يراها بعقله ؛ ولكنَّ العاشقَ المخبولَ

(١) هذا نصُّ عبارته حين يريد التخليط . (ع) .

لا ينظر من يهواه إلا ببقيَّةٍ من هذا ، وبقيَّةٍ من ذلك ، فلا يخلُصُ مع حبيبه إلى جنونٍ ، ولا عقل .

(والمجهولُ) إذا أراد أن يَظهرَ في دماغٍ بشَريٍّ ؛ لم يسعه إلا أحدُ رأسين : رأسِ المجنون ، ورأسِ العاشق . .

ولا صعوبةَ في الحكم على شيءٍ بأنَّه خيرٌ ، أو شرٌّ إلا حين يكونُ الخبرُ والشَّرُّ امرأةً معشوقةً . أمَّا أوصافُ الشُّعراء ، والكتابِ للجمال ، والحبِّ فهي كلُّها تقليدٌ ، قد توسَّعوا فيه ، والأصلُ : أنَّ ثوراً أحبَّ بقرةً ، فكان يقول لها : يا نجمةَ القطب الَّتي نزلتْ من السَّماء لتدورَ في السَّاقية ، كما دارت في الفَلَك . .

قال (النَّابغة) : هذا رأيي في حبِّ العاشقين ؛ أمَّا حبِّي أنا (نابغة القرن العشرين) فيجمعه قولك : فلٌّ ، وردٌ ، زهرٌ .

قلنا : ما هذه الألغاز ؟ وهل للحبِّ مَتْنٌ ، كقولهم : حروفُ القَلْقَلَة يجمعها قولك : (قُطْبُ جَدٍ) ، وحروف الزِّيادة يجمعها قولك : (سألتمونيها) ؟

فتضاحَكَ (النَّابغة) ، وقال : تكاثَرت الظِّباءُ على خِرَاش ، فلكيلا نَنسى : إنَّ كل حرفٍ هو بدءُ اسمٍ ، الفاء : فاطمة ، واللام : ليلَى ، والواو : وردة ، والرَّاء : رَباب ، والدَّال : دَلال ، والزَّاي : زكيَّة ، والهاء : هند ، والرَّاء : رَباب .

قلنا : رباب قد مضَت في (ورد) .

قال : كنا تَهاجَرْنا مدَّةً ، ثمَّ اصطلَحْنا بعد هندٍ .

* * *

قلت : هكذا « النَّوابغ » فإنَّ رجلاً أديباً كانت كنيتُه (أبا العباس) فلمَّا « نبغ » صَيَّرها (أبا العَيْر)[1] وفَتَقَ له نبوغُه أن يجعلَها تاريخاً يَعرف منها عمرَه . قالوا : فكان يزيد فيها كلَّ سنةٍ حرفاً ، حتَّى مات ، وهي هكذا :

أبو العَيْر طَرَدْ طِيل طَلِيرِي بَك بَك بَك .

* * *

(١) « العير » : الحمار . وتكنَّى بعضُ الحمقى (أبو البقر) قياساً على (أبو العير) . (ع) .